# اهتمام رسائل النور بالمستقبليات

أ.د. عمّار جيدل(*)

قد يتبادر إلى الذهن بداية أنّنا بصدد الكتابة في الكهانة والتنبّؤ والعرافة أو ما شابهها من الاصطلاحات والمفاهيم، فَنُرْمَى بأننا ورسائل النور من دعاة تسويق هذه البضاعة الدَنِيَّة، أو أنّنا من الذين يرمون إلى إلصاق تهمة الكهانة برسائل النور، إبعاد هذه الشبهة يفرض الكتابة في الموضوع، والأكثر من كل ذلك أنْ نثبت بأنّ رسائل النور كتبت لأجل المستقبل بمعناه الواسع، المؤسس لرؤية تستوعب الدنيا بما حوت من خلال التأسيس للتحقق بالمستقبل الأخروي.

وتحقيقا لهذا المسعى ركّزت الجهد على بيان موارد العناية بالمستقبل في رسائل النور، وروما إلى الخلوص إلى القصد قسّمت البحث على النحو الآتي:

**أولا : مظاهر العناية بالمستقبل في رسائل النور.**

**ثانيا: المستقبل كما عرضته رسائل النور.**

**ثالثا: صناعة المستقبل الدنيوي المنشود .**

**رابعا: أسس صناعة المستقبل.**

## مظاهر العناية بالمستقبل في رسائل النور.

### ١- موقف الإنسان من المستقبل كما تعرضه رسائل النور:

يستشف من رسائل النور أنّ العناية بالمستقبل خصيصة إنسانية، إذ يمتاز الإنسان عن الحيوان بشمول علاقته بالماضي والحاضر والمستقبل(١)، فهو ليس كالحيوان مبتلى بآلام الحال فقط، بل يضرب رأسه خوف المستقبل وحزنا على الماضي مع ألم

---

(*) جامعة الجزائر. الجزائر. rdjidel@maktoob.com

(١) انظر المثنوي العربي النوري/ بديع الزمان النورسي/تحقيق وتعليق إحسان قاسم الصالحي ص ٣٣٨

الحال[١]، ذلك أنّ البشر لعجزهم وغاية فقرهم وحاجتهم، تبقى أرواحهم في حيرة من ظلمات المستقبل وفي وَجَل مما تخفيه الأيام والليالي[٢] فيأخذ الإنسان من الماضي دروسا للحاضر والمستقبل، ويتعلّق عقله وقلبه بالمبشرات بمستقبل أرغد وأسعد، فكان التبشير مبيدا لليأس والقنوط، وتزداد فاعليته خاصة في ظل وضع كثرت فيها الميئسات، فكانت رسائل النور لما فيها من بوارق البشرى تقوي المتن على الصمود أمام الحوادث الرهيبة[٣]، ذلك أنّها أنقذت إيمان كثير من المؤمنين، وستشد عضد وأزر القابلين في الزمان العصيب العاصف[٤].

في ضوء ما سبق ليس غريبا أن يكون القلق على المستقبل سببا في الاضطراب وتكدّر الحياة الحاضرة بالآلام والأحزان سيما الملذات غير المشروعة، فهي في حكم العسل المسموم تماماً.[٥] وفضلا عمّا سلف فإنّ المستقبل طور من رحلة الإنسان في الوجود، ذلك أنّ الإنسان بروحه وجسده، "لعدم انحصار دائرة حياة الروح والقلب في الزمن الحاضر كما هو في الجسد، ولدخول سنوات عدة من الماضي وسنوات مثلها من المستقبل في دائرة تلك الحياة"[٦]

تؤكّد رسائل النور على أنّ مستقبلنا هم صغارنا (والأحفاد و...)، لهذا كان البناء وصناعة المستقبل استثمارا حقيقيا للواقع واستثمار بالتبع في المستقبل، ومن أراد أن يكون أبناؤه امتدادا لتاريخ أمته في أصالتها وفعاليتها، فما عليه إلاّ تحقيق الشروط الموضوعية للبعث الحضاري.

ولشدّة عنايتها بالمستقبل تتمحور وظيفتها على السعي الدءوب على بقاء الأمة على أصالتها، أمة لا يرضى الأستاذ ظهورها ونصرها لأربعين سنة بل يريد ألفاً من السنين

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ٥٨،ص ٣٦١

(٢) انظر الكلمات / بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص ٤٤

(٣) انظر الملاحق / بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص ١١٧

(٤) انظر المصدر نفسه ص١٢٥

(٥) انظر الشعاعات/ بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان الصالحي ص ٢٥٠، الملاحق ١٧٥، الكلمات ١٦٠

(٦) السيرة الذاتية/ بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص ١٩٦-١٩٧

في الأقل[١]، ويتوجّه من خلال محاوراته المباشرة وغير المباشرة للأطفال كتوجّهه للكبار وبنفس الأهمية، فيخاطبهم بخطاب التعطّف والمشاركة"أولادي"، ويرجو دعاءهم ويدعوا لهم ويعدّهم أولادا معنويين له وطلاّبا للنور، ويعزو اهتمامه بهم إلى كونهم طلاّب النور في المستقبل.[٢]

**٢- التفكير في المستقبل الدنيوي:- ضرورات حياتية وإخوانية:**

ليست العناية بالمستقبل بمعناه الواسع غريبة عن أدبيات رسائل النور، بل تكاد أن تكون الرسائل كتبت لأجل المستقبلين الأخروي أولا والدنيوي ثانيا، ذلك أنّ التفكير القويم في الثاني يفرض التحقق بالمعنى الأول والتعلّق القلبي والعقلي بالمستقبل الأول (الأخروي) الذي ليس بعده فناء، فكانت عناية الرسائل بالحاضر لأجل تفادي الخلل المتوقّع في المستقبل العاجل، ولم يخض الأستاذ في المستقبل العاجل إلا اضطرارا ولأجل قصد تربوي قصده تنبيه التلاميذ والطلبة.[٣]

شواهد محورية مسألة المستقبل في رسائل النور كثيرة، منها أنّها تخاطب أبطال المستقبل[٤]، وتضمنت نصا التأكيد على الاستفادة التامة منها في المستقبل[٥]، "ذلك أنّ رسائل النور حقيقة قرآنية تشغل هذا العصر والمستقبل، وتأخذ جل اهتمامات أهله، وأنهّا السيف الماسيّ البتار في قبضة أهل الإيمان"[٦]، فكتب الأستاذ في الإخبارات المستقبلية[٧] والمستقبل بطريق مباشر أو بطريق الإشارة المستفادة من الحديث عن طلاب النور في المستقبل أو الأطفال أو الصغار أو ما شابه من الألفاظ الدالة على العناية بالمستقبل.

قال الأستاذ: "ها أنذا آليتُ على نفسي ألاّ أخاطبكم، فأدير إليكم ظهري وأتوجه بالخطاب إلى القادمين في المستقبل: أيا مَن اختفى خلف عصر شاهق لما بعد

---

(١) - صيقل الإسلام / بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص ٥٤

(٢) - انظر السيرة الذاتية(مصدر سابق) ص ٥١٤

(٣) - انظر الشعاعات / بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص ٣٣٠

(٤) - انظر الشعاعات ص٤٨٧

(٥) - انظر الملاحق ص٧٤

(٦) - الملاحق ص ٢٤٨

(٧) - انظر الملاحق ص ٢٦٨

ثلاثمائة سنة، يستمع إلى كلمات النور بصمت وسكون. وتلمحنا بنظر خفي غيبي.. أيا من تَتَسَمُّون بـ "سعيد وحمزة، وعمر وعثمان وطاهر، ويوسف وأحمد وأمثالهم" إنّني أتوجّه بالخطاب إليكم: ارفعوا هاماتكم وقولوا: "لقد صدقت" وليكن هذا التصديق دَيْناً في أعناقكم."[١]، وقال في سياق آخر: "نعم قد استقلّت بعد خمس وأربعين سنة كلٌ من عشائر البلدان العربية وباكستان، فهم يصدقون سعيداً القديم في درسه هذا، وسيصدقونه في المستقبل."[٢]

**٣- قدرة البشر على التعامل مع المستقبل:**

رسائل النور غنية بتحميل المسؤولية الدنيوية المترتّبة عن الغفلة عن التكليف، ويكاد أن يكون مضمونها متعلّقا بما يستقبل من الأيام، وما دام المستقبل صناعة، فيتوجّه الخطاب إلى من جعلهم الله سببا في صناعته، وعلى رأسهم المكلّف (الإنسان المسلم البالغ العاقل)، فيدعوه إلى اكتشاف استعداداته وقدراته، لأجل تفعيل دوره في صناعة مستقبله، وبهذا الصدد يطلب أن يُنْظَر إلى الماضي وإلى المصائب بنظر "القدر" بينما النظر إلى "المستقبل" وإلى المعاصي يلزم أنْ يكون من زاوية التكليف، فالجبر والاعتزال يتصالحان هنا.[٣]

الإنسان مكلّف بإصلاح الواقع المعيش وفق مقتضيات الإيمان بالمستقبل الأخروي، فترى الأستاذ مستقبليا بامتياز في سياق تسجيل ملاحظاته على ما يبثّه الإنسان من خلال المذياع (الراديو)، فقال: "تأملت في هذا الراديو الصغير الذي أمامي. وقد أتوا به إلى غرفتي لاستمع إلى القرآن الكريم. فإذا هو ماكنة صغيرة ضمن صندوق صغير، فرأيت أن هناك حصة واحدة فقط للكلام الطيب من بين عشر حصص للهو والترفيه، فَعَلِمْتُ أنّ هذا خطأ يرتكبه الإنسان. وسيصلح بإذن الله خطأه هذا ويقوّمه في المستقبل. فيجعل الراديو مدرسة إيمانية، وذلك بجعله حصة الكلام الطيب أربعة أخماس جميع الحصص، شكراً عاما تجاه نعمة الراديو هذه، وتوجيه تلك النعمة لصالح حياة الإنسان الخالدة."[٤]

---

(١) صيقل الإسلام ص٤٠٨، الملاحق ص ٣٨٤

(٢) صيقل الإسلام ص ٤١٨

(٣) المكتوبات / بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص ٦٠٥

(٤) الملاحق ٣٥٠

**٤- المستقبل صناعة:**

إذا كان الحاضر ثمرة الماضي، فلا شك أنّ الحاضر حصيلة غرس الماضي، والماضي في الوقت نفسه مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، وبالتالي فالمستقبل حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله.[١]، لهذا فإنّ نتائج نهاية مساعي الترقي فيما يستقبل من أيام تبنيه مؤسسات الماضي[٢]، من هنا ينبغي السعي إلى الحاضر والمستقبل بالكد والاجتهاد، ومن بذل له قلّده سعيه شرفا عظيما[٣] واستدرك به على قصوره وتقصيره، وبناء على ما سلف عدّت رسائل النور السعي جالب المدّخرات إلى صندوق الادّخار، فالمستقبل الحقيقي نتيجة مدّخرات، فلا مطمع لنيله بطريق البطالة أو التمني، فمن أراد الادّخار بذل له ما يحققه، فكان من مقتضيات التفكير في المستقبل العاجل (الدنيوي) أو الآجل (الأخروي) أن تضع شيئا في صندوق الادّخار[٤].

بيّن مما سلف بيانه أنّ الماضي نواة الحاضر وهما معا نواتا المستقبل، من هنا فالمستقبل صناعة، يسكن فيها المرء ما بناه في سابق أيامه، وهو سنة ماضية في الخلق مستوعبة لمساري الدنيا والآخرة، يتمتّع المرء بما قدّمه، قال الشاعر عن الآخرة، وهي صالحة للاحتجاج بها في مقام الدنيا:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها  إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فإن بناها بخير طاب مسكنه  وإن بناها بشر خاب بانيها

إنّ المستقبل بصفة عامة صناعة ثمرة سعي، الآخرة فيها كالدنيا سواء بسواء، فتجنّب ما يرد من إهانة في المستقبلين (العاجل والآجل) متوقّف على البذل لهما في شعاب الحياة، فمن أراد أن لا يُصِيب بُصَاقُ إهانة الأعداء وجهه أو لمسحه عنه عندما يقال له تبا لك ولرجال عصرك العديمي الغيرة[٥]، فما عليه إلا بذل الوسع لأجل دفعه.

---

(١) انظر الكلمات ص ٢٧٩

(٢) انظر إشارات الإعجاز / بديع الزمان النورسي/تحقيق وتعليق إحسان قاسم الصالحي ص: ٢٣٨

(٣) انظر السيرة الذاتية –النورسي–ص ٢٨٠

(٤) انظر الكلمات ص٣٠٢

(٥) انظر الكلمات ٥٥٣

**ثانيا: المستقبل كما عرضته رسائل النور:**

**١- عرض الدين لقضايا المستقبل:**

يبحث الدين الحوادث التي سيشهدها الناس في المستقبل بصيغة ليست مجهولة ومبهمة إلى حد استعصاء فهمها، وليست واضحة وضوح البداهة التي لا مناص من تصديقها. بل يعرضها عرضاً منفتحاً على العقول، لا يعجزها، ولا يسلب منها القدرة على الاختيار ذلك أنّه امتحان واختبار، يميّز الأرواح العالية من الأرواح السافلة.[١] كما أنّ القرآن جمع المباحث الكلية لما يخص الإنسان ووظيفته، والكون وخالقه والأرض والسموات والدنيا والآخرة والماضي والمستقبل.[٢]

كلّ ذلك ليُبْقِيَ القرآنُ الإنسان مستعدا للبذل العقلي والقلبي والبدني، إذ لو كانت الأجوبة كاملة في تفاصليها لتعطّل العقل عن مهمّته وفقد حيويته وتجدّده، ذلك أنّه بهذا يفتقد قدرة الاستدراك على السابق، بينما عندما يتغذّى العقل بالقرآن يكتشف قصوره وتقصيره وتتأكّد حاجته للتلاحق المفضي إلى التلاقح والتكامل، وخاصة حال انضباطه بالدين في سيره واختياراته، فيتلافى – والحال هذه-الإنسان في نفسه وبدنه وفكره الضربات الموجعة والصفعات المؤلمة التي يسلّطها عليه العقل الشارد، نظرا لما له من استعداد على الجمع بين آلام الماضي ومخاوف المستقبل.[٣]

وإذا علمنا بأنّ القرآن كتاب الماضي والحاضر والمستقبل، وتشبّعت العقول بهذه الحقيقة، تحرّكت بمقتضى هذه الحقيقة من أجل التفاعل معه ومع الكون بمنطق العجز والفقر، ذلك "أنّ كثيراً من أبواب القرآن ظلّت مغلقة لتفتح في المستقبل من الزمان."[٤] ، وتفتح بمسعى البذل المؤسس على الإقرار بالعجز والفقر إلى الله تعالى.

**٢- أنماط المستقبل في رسائل النور:**

تهتم رسائل النور بالمستقبل، بل تعد العناية به رأس المسائل التي ترمي إلى تحقيق القول فيها، ذلك أنّها تمثّل أجوبة عن أسئلة الراهن والمستقبل بالقرآن الكريم، فهي

---

(١) انظر الكلمات ٣٨٧

(٢) انظر الكلمات ٤٥٧

(٣) انظر الكلمات ٤٥١

(٤) الكلمات ٤٥١

رسائل قرآنية ذات صلة وثيقة بالعالم الإسلامي في حاضره ومستقبله[١]، يؤكّد هذه المعاني ما أورده صاحب الرسائل في مقام المرافعة عنها، حيث قال: "إذا قال نفر من الشقاة الذين اتخذوا اللادينية والكفر مسلكاً لهم، وحلّوا في بعض أركان الحكومة تحت ستار مقصدٍ سياسي فضللوها، أو دخلوا سلك الوظائف وأرادوا محو رسائل النور بالدسائس، وإسكاتي بالتهديد لقد مضى زمن التعصب –على القديم– وينبغي نسيان الماضي والتوجه نحو المستقبل بكل قوتنا، لا نرغب في تدريسك الديني والإيماني القوي بصورته الرجعية"، فكان جوابه: "ما يُظنّ أنّه الماضي قد صار مستقبلاً، بل هو المستقبل الحقيقي. ونحن إليه سائرون".[٢]

تنصب عناية رسائل النور على المستقبل الأخروي، وقد يتبادر إلى الذهن أنّ هذا الاختيار مؤسس للميل عن المستقبل الدنيوي (العاجل)، وما يتكشّف لنا من خلال رسائل النور يدل على نقيض هذا الأمر، فالعناية بالمستقبل الأخروي هي عين العناية بالمستقبل الدنيوي ومبعث الفعالية فيها بالنسبة للمؤمن، بل إنّ إنسانية المؤمن تتناسب مع درجة امتلاء القلب والعقل (التحقق) بالمستقبل الأخروي، فكلما زادت العناية بالمستقبل الأخروي كانت نتائجه ظاهرة على العناية بالمستقبل الدنيوي، وكلما نقصت العناية بالأول ظهر أثرها على الثاني ضرورة[٣]، فالمستقبل الأساسي المعتنى به في الرسائل هو المستقبل الأخروي الذي بيّنته الشريعة المتأتية من صفة الكلام، والفلاح فيه مشروط بالبذل لنيل المستقبل الدنيوي بقلب ممتلئ بالمستقبل الأخروي، مع موافقة شريعة الله المتأتية من صفة الإرادة، فبها كان الكون على وفق ما هو عليه في الواقع، أي أنّ الكون مجعول وفق إرادة الله الذي بثّ فيها سننا يسير وفقها لا يحيد عنها إلا بأمره، فمن وافق الشريعة المتأتية (السنن الجعلية) من صفة الإرادة أعطته وفق ما بذل لها سواء كان المرء مؤمنا أو كافرا أو منافقا، ويميّز المؤمن عن غيره بالرغبة في تحصيلها لأجل المستقبل الأخروي، فيزيده مقصد العناية بالمستقبل الأخروي فعالية وإنسانية وفائدة له ولسائر مكوّنات الأسرة الإنسانية فضلا عن عوالم الجماد والنبات وغيرهما.

---

(١) انظر السيرة الذاتية ٢٦٩

(٢) انظر السيرة الذاتية ٢٦٩

(٣) انظر حقيقة مقاصد رسائل النور استمدادها وامتداداتها، عمار جيدل، دار النيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، ص ١٥٤-١٥٥

**أ- المستقبل الدنيوي هو المستقبل العاجل:**

رحلة الإنسان إلى الآخرة مركّبة من ماضي وحاضر ومستقبل والارتباط بينهم وثيق، فالمستقبل فيها ليس إلا المحطّة القادمة الأخيرة من رحلة العمر، لأنّ ما يظن أنّه مستقبل سيصير ماضيا بعد مدّة وجيزة، بل هو المستقبل الحقيقي، لهذا يأتي بعدها المستقبل الحقيقي الذي نحن إليه سائرون، فالمستقبل الدنيوي ليس إلا ضيافة رحمانية مؤقّتة، يتبعها "مجلس ضيافة رحمانية أعدّت في قصور السعادة الخالدة".[١]

**ب - المستقبل الأخروي هو المستقبل الحقيقي:**

تؤكّد رسائل النور على أنّ المستقبل الحقيقي هو الآخرة، وذلك ليكون الخير والفضيلة غالبين على البشرية كما هو الأمر في سائر الأنواع، وحتى يتساوى الإنسان مع سائر إخوانه من الكائنات، وذلك لكي يحق أن يقال: أنّه قد تحقق وتقرر سرّ الحكمة الأزلية في النوع البشري أيضاً[٢]، كما أنّ التصفية النهائية لكثير من الدعاوى والظلم لا يكون إلا في الآخرة.وهو يتضمّن الإشارة إلى أنّ المستقبل هو ميدان تغلّب الحسن والحق النوعي والعمومي- بغض النظر عن الأشخاص-[٣]، وتجلت محورية المستقبل الأخروي في رسائل النور في التذكير المستمر بالمستقبل الأخروي، وتستشهد عليها بكثير من البراهين والحجج الواقعية منها على سبيل المثال لا الحصر: يمر الإنسان في كلّ ليلة بنوع من الموت ويرى في الصباح نوعا من البعث، فيرى ما يشبه الحشر، ويرى أيضا تبدّل جميع ذرات جسمه في بضع سنين، كما يرى أنموذج قيامة وحشرٍ تدريجيين مرتين في السنة الواحدة من التبدلات التي تحصل في أجزاء جسمه جميعها. فيرى ما يشبه أمارات الحشر، ويشاهد مثل ذلك في كلّ ربيع في عدد لا يحصى من أنواع النباتات والحيوانات، وكلّ ما سبق ذكره وغيره مما يشبهه ترشّحات للقيامة الكبرى تشير إلى الحشر الأكبر، فحدوث مثل هذه القيامة النوعية وما يشبه الحشر والنشور في الأنواع، من قبل الخالق الحكيم، بإحيائه جميع الجذور وقسماً من الحيوانات بعينها، وإعادته سبحانه سائر الأشياء والأوراق والأزهار والأثمار بمثلها.[٤]

---

(١) السيرة الذاتية ص ١٩٥،و انظر ٢٦٩

(٢) صيقل الإسلام ٥٠٤-بتصرف- وانظر السيرة الذاتية ص ٢٥٤

(٣) انظر صيقل الإسلام ص ٥٤

(٤) الكلمات ٦١٥- بتصرف-

قال الأستاذ: "الدنيا مزرعةٌ للآخرة وسوقٌ ومعملٌ لها، وتدفع إلى السعي الحثيث في الحياة الدنيا، ثم إنّها تُكسب القوة المعنوية المنهارة في غياب الإيمان قوةً، وتسوق اليائسين الساقطين في العطالة واللامبالاة إلى الشوق والهمة وتحثهم إلى السعي والعمل".[١]

**١- أثر العناية بالمستقبل الأخروي على المستقبل الدنيوي:**

مبنى العناية بالمستقبل الأخروي الشريعة المتأتية من صفة الكلام، وأسس أساس ما ترمي إلى تمكينه من القلوب الإيمان بمعناه الواسع، لهذا رمت رسائل النور إلى تثبيت حقائق الإيمان في القلوب والعقول، والعمل على استجلاب آثارها على التصرفات في شعاب الحياة حاضرا ومستقبلا، من هنا كان لزاما علينا التوقّف عند أثر الإيمان في صناعة الحاضر والمستقبل.

امتلاء القلب وتحقق العقل بالإيمان بالمستقبل الأخروي يهيمن على مجموع قوى الإنسان، فتحكم سير عقله وتضبط غرائزه، وتشحذ همّته وتغذّي قلبه بالبذل المستمر وتخفف عليه متاعب طريق البذل.

**الإيمان بالله وصناعة المستقبل:**

تظهر على العقل الذي هو عضو وآلة أثار تشبّع القلب بالمستقبل الأخروي، ذلك أنّ العقل إن لم تبعه لله ولم تستعمله في سبيله، جعلته في سبيل الهوى والنفس، وبهذا يتحوّل العقل إلى عضو مشؤوم مزعج وعاجز، فيحمّلك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة، فينحدر عندئذٍ إلى درك آلة ضارة مشؤومة، ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته وينغمس في اللهو أو السكر إنقاذاً لنفسه من إزعاجات عقله؟

بينما إذا بيع العقل لله، واُستُعمل في سبيله ولأجله، فإنه يكون مفتاحاً رائعاً بحيث يفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الإلهية وكنوز الحكمة الربانية فأينما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الإلهية في كل شيء، وكل موجود، وكل حادثة. ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا إلى مرتبة مرشدٍ رباني يهيئ صاحبه للسعادة الخالدة، ويتعدى أثر العقل المشار إليه (المائل عن العناية بالمستقبل الأخروي) إلى القلب فيعذّبه ويعكّر صفو لذة واحدة بتسعة آلام[٢]، بخلاف

(١) السيرة الذاتية ص ٢٦٧

(٢) الكلمات ص ١١٦ بتصرف

ما إذا تنوّر العقل وتحقق بالمستقبل الأخروي؛ فإنّه يترقى إلى أوج الخلافة، ويحوّل (هذا التحقق) الفقر والعجز إلى عناصر قوّة ووسائل صعود، لأنّها تنوّرت[١] وبعثت فيها عناصر الدافعية والفعالية بنور الإيمان بالمستقبل الأخروي المنبعث من الإيمان بالله.

**ثالثا: عمد صناعة المستقبل الدنيوي المنشود:**

غني عن التذكير بأنّ الحديث أو الكتابة عن المستقبل الدنيوي المنشود للمؤمن في رسائل النور لا يمكن عزله في حياة المؤمن عن العناية بالمستقبل الأخروي، فيطلب حين القراءة والتدبّر استصحاب هذا المعنى، ونستهل الكتابة في المسألة بتحديد مواصفات المستقبل المنشود.

**١- مواصافات المستقبل المنشود وآليات تحقيقه:**

ورد في رسائل النور الحديث عن الاتصال الروحاني في أكثر من موضع، والاتصال الروحاني، هو الولوج في الماضي البعيد أو حتى السحيق عبر السير الروحاني، الذي لا يقيّده زمان ولا مكان، يتجاوز به المتّصل مع المتقدمين من أبناء جنسه بما سماه الأستاذ "أمواج البرقيات التاريخية"، وهي وسيلة لتعلّم العبر من الأحداث التي وقعت لهم، "ونصنع منها قطارا للأفكار، ثم نرجع عائدين ونزور أبناء جنسنا ونتوجه إلى مشرق المستقبل لنرى – ونري الآخرين – فجر سعادته الصادق الذي يتراءى من بعيد. ثم نركب قطار "الرقي والتقدم" وسفينة "السعي" المسماة بالتوفيق، حاملين في أيدينا مصباح البرهان وندخل معه "الزمان" الذي يبدو مظلم البداية، إلاّ أنّ وراءه سطوعاً، لكي نصافح أبناء المستقبل ونهنئهم بسعادتهم التي يرفلون فيها[٢]، فبيّن بأنّ المستقبل سيكون للأفكار، بل المستقبل نفسه هو مدرسة الأفكار[٣]، ومظاهر جعل المستقبل للأفكار في رسائل النور متعددة منها:

**أ- أهمية الإيمان في صناعة المستقبل:**

يعدّ القرآن الكريم باعث العناية بالمستقبل بمعنييه، ذلك أنّه يؤسس للاهتمام بأمر المستقبل الحقيقي للإنسان، ذلك أنّ المستقبل الأخروي أهمّ ما تتعلّق به الهمم وتبذل له الجهود، ولا مطمع بتحقيق المستقبل الأخروي (مطلب جميع الأنبياء عليهم السلام)

(١) انظر الكلمات ص ٢٥٧

(٢) صيقل الإسلام ص ٦٨

(٣) المصدر نفسه ص ٤٩

بمعزل عن الاهتمام بالمستقبل الدنيوي، لهذا تجد القرآن الكريم "قد بسط أحد جناحيه نحو الماضي والآخر نحو المستقبل".[١]

وتؤكّد رسائل النور أنّ الحكم في المستقبل لن يكون إلاّ لحقائق القرآن الكريم والإيمان، والمستقبل العاجل والآجل لن يكون لغير الإسلام، وللإسلام وحده، لذا تطالب رسائل النور بضرورة "الرضى بالقدر الإلهي وبما قسّمه الله لنا؛ إذ لنا مستقبل زاهر"[٢]، ويؤكّد الحقيقة نفسها في مقام آخر قائلا: " نعم، كونوا على أمل؛ أنّ أعظم صوت مدوّ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر"[٣] و"لا يتوانى من التصريح أن أعظم صوت مدوٍ في المستقبل هو صوت القرآن العظيم"[٤]، لا شك أنّ القرآن الكريم ستكون له الغلبة وكلّ من التزم بأحكامه وتمثّلها في نفسه ومجتمعه وعلاقاته مع مجمل العوالم، سيكون من زمرة الغالبين، لهذا يتمتّع المؤمن بالغلبة بقدر التزامه بأحكامه، لهذا فالنجاح بالقرآن والفلاح به مشروط بتصديقه قلبا وعقلا مع صدق العمل على تجسيده في الواقع المعيش، فيتحوّل القول بالقرآن إلى أعمال وأحوال ترى تصرفات في شعاب الحياة.

- **المعجزات مدخلا لتنمية القدرات فيما يستقبل من الأيام:**

توظّف رسائل النور المعجزات التي أظهرها الله سبحانه وتعالى على يد نبيّه المصطفى (عليه الصلاة والسلام) مدخلا لتأكيد أستاذية القرآن الكريم وإشارات درسه، ففي تلك المعجزات دلالة للبشرية على أنّ نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي، وفي ذلك حثّ للإنسان على البذل كأنّه يقول له: هيا اعمل واسع لتنجز أمثال هذه المعجزات، فاقطع مثلاً مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام، واعمل على مداواة أشد الأمراض المستعصية كما داواها عيسى عليه السلام، واستخرج الماء الباعث على الحياة من الصخر وأنقذ البشرية من العطش كما فعله موسى عليه السلام بعصاه. وابحث عن المواد التي تقيك شر الحرق بالنار، وألبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام. والتقط أبعد الأصوات واسمعها وشاهد الصور من

---

(١) الشعاعات ص ١٧٧

(٢) السيرة الذاتية ص ١١٦

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٢

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٢

أقصى المشرق والمغرب كما فعل ذلك بعض الأنبياء. وأَلِن الحديد كالعجين كما فعله داود عليه السلام، واجعل الحديد كالشمع في يدك ليكون مداراً لجميع الصناعات البشرية، كما تستفيدون فوائد جمة من الساعة والسفينة اللتين هما من معجزات سيدنا يوسف وسيدنا نوح عليهما السلام. فاعملوا على محاكاتهما وتقليدهما، وهكذا قياساً على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقي المادي والمعنوي، ويلقي علينا الدروس ويثبت أنّه أستاذ الجميع"[١]، ونتعلّم من درس المعجزات أن المستقبل المزدهر مبناه العلم.

**– الإيمان وصناعة المستقبل:**

قراءة القرآن وفق النظرة السابقة يصنع الثقة في الحاضر والمستقبل، إذ بامتلاء القلب بالأسباب القويّة والوسائل القويمة للرقي المادي والمعنوي، يصبح الطريق سالكا ممهّدا كسكة الحديد للوصول إلى السعادة في المستقبل، فلا يمكن لمن التزم به وتشبّث بأحكامه أن ييأس، أو تثبّط عزيمته، بل سيكون حين توفّر المواصفات اللازمة في أكمل صورها سببا في تنشيط الهمم ودفع اليأس والقنوط، بما تُحْدِثُه آيات القرآن الكريم وسنّة نبيّه (عليه الصلاة والسلام) من إقناع بأن الدنيا ليست دار ترق وتقدّم للأجانب وحدهم، بل هي كذلك للجميع، فإن مالوا عن الاقتناع بهذه الحقيقة فقد وقعوا في حماقة وخطأ شنيع.[٢]

بعد الإيمان بالمستقبل الأخروي والمستقبل الدنيوي، لا بد من الإيمان بالقدرات والقابليات والاستعدادات، فالقدرة والاستعداد للترقي إنساني لا يخضع للون أو دين معيّن، بل هو قانون فطري، مبناه أنّ "لميل نحو الكمال قانون فطري في الكون وقد أُدرج في فطرة البشريةّ، وأنّ "الحق والحقيقة سيظهران في المستقبل على يد العالم الإسلامي إنْ شاء الله سعادةً دنيوية"[٣] ثم سعادة أخروية فيما بعد.

ويستفاد من القرآن الكريم أنّ ميل المسلم عنه ضار به في حاضره ومستقبله العاجل والآجل، فلا يكون حظه من ذلك سوى الهبوط إلى مرتبة أدنى من مرتبة الحيوانات بمائة مرة ذلك أنّه لا معنى للماضي والمستقبل لديها. بينما يترك موت الموجودات

---

(١) صيقل الإسلام ص ٤٩٩

(٢) المصدر نفسه ص ٥٠١ - بتصرف-

(٣) المصدر نفسه ص ٥٠١

السابقة واللاحقة وفراقها الأبدي، في نفس الإنسان آلاماً مستمرة متعاقبة بسبب ضلاله.[١]

ولهذه المعاني صلة وثيقة بـ"الحقيقة الإسلامية" التي هي أستاذ جميع الكمالات والمثل ورأسها الإيمان بالآخرة، وهي التي تجعل من المسلمين نفسا واحدة، لها من القوة ما لا يمكن أن تهزمها قوة مهما كانت"، ومن الحقيقة الإسلامية تنبثق "العزة الإسلامية" التي تعلن إعلاء كلمة الله.[٢]

**ب- أهمية العقل والعلم في صناعة المستقبل**

**المستقبل للعلم والعقل والصناعة:**

كَثُر الكلام في العصور المتأخرة عن معايير التقدّم، وانتهى القول في العالم بين الخبراء إلى أنّ أهم معايير القوة هي القوة العلمية والصناعية، وقد نبّهت رسائل النور إلى أنّ المستقبل يصنعه العلم بالعقل ثم بتحويل العلم إلى صناعة (العلم التطبيقي)، وفي الرسائل كثير من النصوص المعبّرة عن هذه المعاني منها:"ولما كان مصدر تبخر حقائق الحكمة في صحراء الوقت الحاضر والباعث بالسحاب الممطر إلى جبال المستقبل، هو الأفكار والعقل والحق والحكمة والتي ولّدت حديثاً ميل التحري عن الحقيقة، وعشق الحق، وترجيح المنفعة العامة على الخاصة، وظهور رغبات إنسانية؛ لذا لا يثبت المدّعى بغير البراهين القاطعة. فنحن أبناء الحال الحاضرة والمرشحين للمستقبل لا يشبع أذهاننا تصوير المدّعى وتزيينه بل نطلب البرهان."[٣]

يستشف من النص أن المستقبل للأفكار والعقل والحق والحكمة والصناعة، ولهذا فنحن مطالبون بالمرافعة عن ديننا بالبرهان الساطع، كما نطالب الآخرين بالبرهنة على مدعياتهم، ذلك أنّ بلوغ الكمالات يتمّ بركوب منطاد العلم وقطار الصنعة في ميدان المدنية لاستقبال المستقبل الزاهر مستردين الأموال التي اغتصبها الأجنبي من ثرواتنا[٤]، وإذا كان المستقبل لا يكون لغير العقل والعلم، فسوف يسود حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان.[٥]

---

(١) السيرة الذاتية ص ٣٩٤ – بتصرف-

(٢) السيرة الذاتية ص ٥٠٠

(٣) صيقل الإسلام ص ٥٠

(٤) المصدر نفسه ص ٤٦٣-بتصرف-

(٥) المصدر نفسه ص ٤٩٥- بتصرف-

وإذا كان من أهم مقاصد إقامة البرهان إظهار العزّة الإسلامية، التي تعني إعلاء كلمة الله، فإنّ إعلاء كلمة الله في المستقبل تتوقّف على التقدّم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية، ولا ريب أن شخصية العالم الإسلامي المعنوية سوف تدرك وتحقق في المستقبل تحقيقاً تاماً ما تطلبه الإيمان من الحفاظ على عزة الإسلام[١] من تقدّم مادي ومعنوي.

**ج - أهمية الحرية في صناعة المستقبل**

تَعُدُ رسائل النور الحريةَ مدخلا رئيسا لتأسيس مستقبل زاهر، لهذا رافعت الرسائل عن المشروطية واعتبرتها المدخل الأول لتقدم آسيا والعالم الإسلامي في المستقبل، بشرط أن تكون مشروعة أي مُؤَسِسَة للحرية في نطاق الشريعة، بل يذهب الأستاذ إلى أبعد من ذلك فيقرر أنّ "مفتاح حظ الإسلام وسعده ورقيه موجود في الشورى التي في المشروطية. حيث قد انسحق – لحد الآن – ثلاثمائة مليوناً من المسلمين تحت أقدام الاستبداد المعنوي للأجانب. وحيث أنّ الحاكمية الإسلامية مهيمنة الآن في العالم ولاسيما في آسيا، فإنّ كل مسلم يكون مالكاً لجزء حقيقي من الحاكمية. وأنّ الحرية هي العلاج الوحيد لإنقاذ ثلاثمائة مليوناً من المسلمين من الأسر. فحتى لو تضرر هنا –بفرض محال –عشرون مليوناً من الناس في أثناء إرساء الحرية، فليكن ذلك فداءً، إذ نأخذ ثلاثمائة بدفع عشرين".[٢]

يؤكد أهمية حرية الاختيار وامتلاء القلب بها لصناعة المستقبل تصويره للماضي والمستقبل في رسائل النور، فقد عدّ الرحلة سالكة مسالك مختلفة متنوّعة فعدّ الماضي أودية والمستقبل شواهق، والشواهق لا تنال بغير السعي والكد والاجتهاد، ذلك أنّ الشاهق عنوان البذل والجهد المضني.[٣]

و قد أشارت الرسائل إلى مناط التكليف بهذا البذل في مقام التأكيد على نقطة استناد الإنسان أمام المصائب المدهشة التي تحيط به من الجهات الست، فأكّدت على ضرورة إحساس الإنسان بما ملّكه الله من سلاح لدفع تلك المصائب، وقد ملّكه لدفعها جزء ضئيلا من الإرادة الجزئية، فليس له أمام كلّ"أولئك الأعداء الذين لا حصر لهم،

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٠٠- بتصرف-

(٢) السيرة الذاتية ص ٨٣، صيقل الإسلام ص ٤٦٢

(٣) انظر اللمعات ٣٥١، الشعاعات ص ٤٩٤،صيقل الإسلام ٤٦٣، السرية الذاتية ١٩٤

والأشياء المضرة غير المحصورة، سوى السلاح الإنساني الوحيد وهو الجزء الاختياري[١]، فتثمين الحرية أساس صناعة المستقبل، فالأحرار هم الذي ينصعون العالم وليس العبيد، العبيد في أحسن الأحوال يصنع بهم العالم ليستفيد منه المستكبرون.

المائل إلى مركزية الحرية في صناعة المستقبل الزاهر يؤكّد بما تبناه بأنّ الاستبداد يفضي إلى باب مسدود لا مستقبل له، ولاحظ إن شئت الدول التي تسمى داعية الحرية، تلك الدول التي كبّلت بكلّ موظّف من موظّفيها المستبدين مليونا من المُسْتَعْمَرين، منذ مدة طويلة، وسيطر موظّفها الواحد على المليون رجل سيطرته على الرجل الواحد، فهيمنت تلك الدول على عالم المستضعفين بطريقة حرمتهم من آدمياتهم فلا يحركّون ساكنا، وأشنع من ذلك كلّه أن تنفذ فيهم تلك الدول قوانينها الجائرة عليهم بأقسى صورة من صور الظلم[٢]، أين هذه الدول؟، فالاستبداد مصيره الزوال، ولا مستقبل له لأنّه ظلم، والظلم آفاقه مسدودة، لهذا كانت الرسائل تزرع الأمل بدفع الاستبداد والظلم، قال الأستاذ: " كونوا على أمل؛ أنّ أعظم صوت داوٍ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر."[٣]

عبّرت رسائل النور عن هذه الحقيقة بالقوة الثالثة (الحرية الشرعية)، والتي إليها يرجع "إرشاد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحقّة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتي تمزق أنواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيّج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان، تلك المشاعر المجهّزة بأنماط من الأحاسيس كالمنافسة والغبطة والتيقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع إلى التحضر. فهذه القوة الثالثة: "الحرية الشرعية" تعني التحلي بأسمى ما يليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع إليها."[٤]

**د- أهمية العدل في صناعة المستقبل:**

الحُرِيَة باب مشرع للتأسيس للعدل، ولا يمكن تحقيق مستقبل زاهر في ظل فقد العدل، فالظلم أساس زوال الملك كما أنّ العدل أساس بقائه، فالممالك تصان بالعدل، فطغيان ذنوب المدنية على محاسنها، ورجحان كفة سيئاتها على حسناتها، كانت سببا

---

(١) انظر السيرة الذاتية ص ١٩٥

(٢) انظر الملاحق ص١٢٦، صيقل الإسلام ص٣٨٢

(٣) صيقل الإسلام ص ٣٦٠

(٤) صيقل الإسلام ص ٥٠٠

في تلقي البشرية صفعتين قويتين بحربين عالميتين، فأتتا على تلك المدنية الآثمة، وقاءت دماءً لطخت وجه الأرض برمتها، ومدنية هذا شأنها تحمل بذرة فنائها فيها، بهذا تبشّر رسائل النور، فذكرت بأنّها سوف تُغْلَبُ بإذن الله، وستظهر عليها محاسن المدنية بفضل قوة الإسلام التي ستسود في المستقبل، وتطهّر وجه الأرض من الأدناس وتحقق أيضاً سلاماً عاماً للبشرية قاطبة[١]، ذلك أنّ الإسلام يحمل بذرة بقائه فيه لما يحمله من قيم العدل في مشروعه والأخلاق التي يرمي إلى تحلية المسلمين بها.

**هـ- أهمية الصدق في صناعة المستقبل:**

لا دوام للعدل ولا فعالية للحرية في صناعة المستقبل الزاهر بغير الصدق، والصادقون هم أشرف بني آدم، وهم أهل الحق والحقيقة، تشهد لهم حقائق الإسلام، كما تصدّقهم وقائع الماضي والحاضر والمستقبل.[٢]

**و- أهمية اكتشاف الإمكانيات والاستعدادات في صناعة المستقبل**

**الإمكانات والاستعداد الذاتيين للإسلام للنمو الترقي:**

يجب أن يمتلئ قلب المسلم وعقله بأنّ الإسلام وحده سيكون حاكماً على قارات المستقبل حكماً حقيقياً ومعنوياً وأنّ الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية ليس إلاّ الإسلام والنصرانية الحقّة المنقلبة إلى الإسلام والمتفقة معه والتابعة للقرآن بعد تحررها من التحريفات والخرافات[٣]، وحاكمية القرآن والإسلام على المستقبل منبثقة من طبيعته أولا ومن مضمونه ثانيا، وفضلا عن ذلك فإنّ للإسلام استعداده المعنوي للرقي، مما يجعل سيادته في المستقبل متيقّنة لا مراء فيها.

**الحاجة البشرية أستاذ باعث على الرقي:**

حاجة البشر الملحّة حقيقة لا تنكر، والحاجة إذا تحقّق بها المؤمن المكتشف لاستعداداته المعنوية والمادية، سيجعل منها أستاذا حقيقيا لاستجلاب المدنية والصناعات، وستدفعه إلى التجهّز بالوسائل المادية والمبادئ الكاملة، والحاجة إلى الوسائل كالفقر المادي يدعونا إلى بذل الجهد لأجل دفعه، لهذا كانت" الحاجة والفقر قوتان لا تسكتان ولا تُقهران."[٤]

---

(١) انظر المصدر نفسه ص ٥٠١

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٥٣

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٤٩٩

(٤) صيقل الإسلام ص ٥٠٠

**ي- أهمية التلاحق والتلاقح في صناعة المستقبل:**

يصنع البشر مستقبلهم، يضع السابق لبنة ويكملها اللاحق، وخاصة في الأمور المادية والمعارف البحتة، لهذا كانت العلوم نتيجة تلاحق الأفكار، وتتكمّل بمرور الزمن، لهذا كان من البديهي في المستقبل أن يتحوّل العلم النظري سابقا إلى علم بديهي، وأن معلوم الحضري قد يكون مجهول البدوي.[١]

والتلاحق والتلاقح عنوان التكامل والتعاون بين البشر في مجال العلم والبحث العلمي وتطبيقاته في الصناعة، وخاصة في المسائل العلمية التي تتأثّر بتلاحق وتلاقح الأفكار والمعارف، يؤكّده أنّ التخصص عنوان التكامل والتكامل عنوان النقص، ويشهد له استدراك اللاحق على السابق في صنف المعارف المشار إليها.

تؤكّد فكرة التلاحق أثر الدراسات والبحوث المستقبلية على صياغة التعريف بالحقائق، لهذا يذكر الأستاذ أنّه لو دُعيَ في المستقبل من قِبَلِ محكمة العقلاء الناقدين باسم التاريخ لما بعد ثلاثمائة سنة. فسيبرز هذه الحقائق أيضاً. إلاّ ما تحتاج من ترميم بعض جوانبها المتشققة.[٢]

**رابعا: أسس صناعة المستقبل:**

المستقبل صناعة، الصناعة تفرض وجود مؤهلين معرفيا ممتلئين أخلاقيا ونبهين منهجيا يمتلكون القدرة على فهم متطلبات هذه الصناعة من عناصر علمية وتطبيقاتها الميدانية، كما تفرض تضحية بالنفس والنفيس، وصبرا بعد امتلاء القلب بأن الجهد يتطلّب وقتا طويلا يستغرق وقتا ليس بقصير، فهو وإن كان قصيرا في معيار أعمار الأمم إلاّ أنّه بمعيار أعمار البشر طويل نسبيا.

ومعرفة كلّ المعطيات المشار إليها يتطلّب معرفة بالعُمَد التي بمقدورها صناعة المستقبل المنشود، وإذا كان المستقبل المهم والأساسي في رسائل النور هو المستقبل الأخروي، فإنّه لم يهمل المستقبل الدنيوي، بل جعل التحقّق بالأول باعثا ومحرّكا لفعالية الثاني في شعاب الحياة، من هنا وجب التأكيد على أنّ النظر إلى المستقبل في رسائل النور مبناه التكامل بين المستقبلين، بحيث يكون مضيّع المستقبل العاجل مضيّعا

---

(١) المصدر نفسه ص ١٥١

(٢) المصدر نفسه ص ٤٦٠

للمستقبل الآجل ضرورة، ذلك أنّ المستقبل الآجل ثمرة غرس المستقبل العاجل، وليس بمعزل عنه، ولكن إذا كان المستقبل الأخروي واضحا وفق ما ألمحنا إليه في مستهل البحث، فما المراد بالمستقبل الدنيوي؟

الإجابة المختصرة والمختزلة ترى أنّ المستقبل الزاهر يتلخّص في أن يكون المسلمون متمتّعين بالعزة الإيمانية والكرامة الإسلامية، ولاشكّ أنّ الجواب صحيح من حيث كونه تقريرا كليا، ولكن السؤال الدقيق الذي يفرض نفسه، ما العمد الرئيسة لأجل الخلوص إلى بعث العزّة الإيمانية والكرامة الإسلامية؟

بيان عُمَد صناعة المستقبل الذي يتفيّأ المؤمنون في ظلاله بالعزة والكرامة، يفرض الإجابة عن سؤال الكيفية، كيف السبيل إلى الوصول إلى العزّة الإيمانية والكرامة الإسلامية؟

تحصيل العزّة والكرامة صناعة لا تأتي من فراغ أو بمجرّد التشهي والأمنيات، بل هو مشروع مدروس له أسسه وعمدته التي يبنى عليها، والحديث من غير الضوابط المنهجية المشار إليها حديث عن أوهام يتسلى بها البطالون والمرتزقة وتجّار الأفكار.

**١ - الأساس الأول: الإيمان بالله أساس البعث الحضاري في المستقبل:**

الإيمان بالمستقبل الأخروي أساسه الإيمان بالله واليوم الآخر المعبّر عنه في رسائل النور (بالحشر)، وهو بعد النبوة من أهم بواعث الطاعة وتنشيط الهمم على بذل المجهود لأجل بلوغ الشواهق كما عبّرت عنه رسائل النور، ولكن لا مستقبل أخروي من غير تفكير موضوعي وواقعي في المستقبل الدنيوي، ذلك أنّ تحقيق الفلاح في الآخرة (المستقبل الأخروي) هو سعي ناجح في الحاضر لأجل صناعة المستقبل الدنيوي (المستقبل العاجل)، فمن رام العمل على الفلاح في الآخرة أصلح دنياه التي هي رحلته في الماضي والحاضر والمستقبل.

تلحّ رسائل النور على التأكيد على أنّ وظيفتنا العمل للإيمان والقرآن بإخلاص أما إحراز التوفيق وحمل الناس على القبول ودفع المعارضين، فهو مما يتولاه الله سبحانه وتعالى، قال الأستاذ: "نحن لا نتدخل فيما هو موكول إلى الله، حتى إذا غُلبنا فلا يؤثر هذا في قوانا المعنوية وخدماتنا. وينبغي القياس وفق هذه النقطة. فقد قيل لجلال الدين

خوارزم شاه وهو القائد العظيم في عهده: ستنتصر على جنكيزخان. فقال: إنّ مهمتنا الجهاد، أما جعلنا غالبين أو مغلوبين فهذا ما يتولاه الله سبحانه، ولا أتدخل أنا فيه."[١]

ولعامل الإيمان أثر عظيم في شحذ الهمم والدفع على البذل بحب وصدق وثقة كبيرة في وعد الله المؤمنين الصادقين، "لذا علينا الرضى بالقدر الإلهي وبما قسّمه الله لنا؛ إذ لنا مستقبل زاهر، وللأجانب ماضٍ مشوش مختلط.[٢]

والذي يتربى على مثل هذه المعاني يكون مصروف الذهن عن طلب أو السؤال عن الأذواق الروحية والكشفيات المعنوية في الدنيا، فتمنع النفس الأمارة من استغلال هذه الحالة الفطرية[٣].

إن للعامل الإيماني أثر كبير في التعلّق بثواب الآخرة، والبذل لنيله في ظل أحلك الظروف، حيث يكون الجزاء بحسب الموانع التي تعترض الطريق"، فتكون ساعة من ساعات الطاعة في ظل الظروف والأحوال الصعبة، كعبادة عشرين سنة، والعشرين ساعة من العمل في خدمة القرآن والإيمان – لما فيها من جهاد معنوي – تكسب أهمية مائة ساعة، والمائة ساعة التي تمضي في لقاء مجاهدين حقيقيين من إخوة طيبين – كل منهم يعادل في الأهمية مائة شخص – وعقد أواصر الأخوة معهم، وإمدادهم – بالقوة المعنوية – والاستمداد منهم، وتسليتهم والتسلي بهم، والاستمرار معهم في خدمة."[٤]

**٢ – الأساس الثاني: الثقة بالقدرة على صناعة المستقبل:**

الإقرار بالأساس الأول، يدفعنا إلى الإقرار بالأساس الثاني، إذ من مقتضى الإيمان بالله والمستقبل الأخروي وتعلّقه الموضوعي بالمستقبل الدنيوي، أن يمتلأ قلب المؤمن وعقله بأنّه مكلّف وبالتالي مسؤول، ومن متطلبات هذا الاعتراف القلبي والعقلي تثمين قدرته التي خلقه الله مزّودا بها، وبعد تثمين القدرة ينبغي عليه اكتشاف قابلياته واستعداداته التي خلقه الله مزّودا بها، والتي بناء عليها يصح التكليف وتصح المآخذة أو المجازاة، فغير القادر عاجز، بينما المآخذات الشرعية مبناها بالأساس القدرة على الفعل

(١) انظر الملاحق ص ٣٤٥

(٢) صيقل الإسلام ص ٤٦٣، ص ٤٩٢

(٣) انظر الملاحق ص ٢٧٣

(٤) انظر سيرة الذاتية ص ٥١٠

والترك، إذ ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦) و﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق: ٧)، والمجتمعات التي اجتثت قدرتها على الحركة مجتمعات ميّتة ليس بمقدروها حماية مقدّراتها، فكيف ينتظر منها أن تحمل رسالة الإسلام إلى الآخرين، إننا إن رضينا أن يحمل أمانة الإسلام إلى الآخرين مثل هذا النمط من المتديّنين فقد حكمنا على الرسالة بالفشل والتبليغ بالغموض، ذلك أن تصرفاتهم شهادة إثبات عدم صلوحية ما يريدون تبليغه، إذ كيف لعاجز أن يساعد الآخرين على اكتشاف استعداداتهم فضلا عن بعث ثقتهم بأنفسهم.

ينتظر من المنتمين إلى خط الأمة في آخر الزمان القيام بوظيفة مركّبة أجلّها وأعظمها على الإطلاق هي نشر الإيمان التحقيقي وإنقاذ الإيمان من الضلالة، ولو لم يكن للإنسان المؤمن القدرة على نشرها لما كان مطالبا بها، وتأتي بعدها وظيفة تنفيذ الشريعة الغراء وتطبيقها، ثم وظيفة الحكم التي هي ألصق بالسياسة.

وتعتمد الوظيفة الأولى على القوة المعنوية من إخلاص ووفاء وقوة العقيدة، وإليها يعود تفعيل الوظيفتين الأخريين القائمتين على القوة المادية، ذلك أنّ القوة المادية بمعزل عن القوة المعنوية قد تتحوّل إلى عناصر ضعف وتخريب، والتركيز على أهمية نشر الإيمان التحقيقي وإنقاذ الإيمان من ضلالة، تأكيد على أنّه أسمى وأعلى وأولى، بخلاف ما يتبادر إلى أذهان عامة الناس وخاصة العوام أو من كان في عدادهم، إذ يعدّون تنفيذ الشريعة والتمكين للحكم الإسلامي أولى، وذلك لما لهاتين المسألتين من جاذبية.[١]

ولقوّة الإيمان فعالية كبيرة في استئصال أمراض العصر التي تمنع الأمة من الانطلاق إلى تأسيس مستقبل زاهر، قال الأستاذ:" لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية وعلمتُ في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب - وخاصة الأوربيين - نحو المستقبل. وتلك الأمراض هي: أولاً: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه، ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية، ثالثاً: حبّ العداوة، رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، خامساً: سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة، سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية."[٢]

---

(١) انظر الملاحق ١٩٥

(٢) السيرة الذاتية ١١٥-١١٦، انظر الملاحق ص ٢٥٠.

**٣ - الأساس الثالث: الحرية الشرعية أساس إصلاح المستقبل:**

قدرة الإنسان على الحركة لا يكتشفها إلاّ إنسان حرّ، ولكن الحر قد تقوده هذة "الكلمة النورانية" (الحرية) إلى قيد الهوى والشهوات والنزوات والشبهات، ولكي لا تقودنا الحرية إلى نقيض قصدها فتتحوّل إلى قيد، تؤكّد رسائل النور على الحرية التي ينتظر منها استجلاب تحرير الإنسان من قيد الشهوات والغرائز البهيمية، ولا تكون كذلك إلاّ إذا كانت "الحرية شرعية"، ذلك أنّ القيد المضاف إلى الحرية يحررها من إمكان توظيفها بطريقة شهوانية بهيمية تركّز على الجوانب السفلية من الإنسان عوض أن تسمو به إلى عالم المعالي والقيم السامية.

الحرية الشرعية من أهم العمد التي يستند إليها في صناعة المستقبل، ذلك أنّ عبد شهواته أو بني جنسه أعجز عن أن يكون سببا في تحرير الآخرين، فكيف له أن يصنع مستقبلا محررا من هيمنة المستبدين والمستكبرين؟

المجتمعات التي تُظْهر أنّها تثمّن قيمة الحرية الشرعية في نفسها لا مستقبل لها إذا رضيت بكتابة الحواشي على نصوص المستبدين أو الرضا بما قسمه لها المستبدون، فالحرية الشرعية أساس بعث الفعالية في شعاب الحياة وأساس صناعة مستقبل العزة الإيمانية والكرامة الإسلامية، ومن منظور واقعي كان الأستاذ مصرّا على إقرار قانون حرية المتدينين، وتنفيذه فورا في المدارس، وعدّه من أهم ما تقتضيه مصلحة الإسلام والبلاد[١] والعباد، لكن كيف السبيل إلى تثمين الحرية لأجل صناعة مستقبل زاهر؟هذا ما نحاول بيانه في الأساس الموالي.

**٤ - الأساس الرابع: التقدم العلمي والعقلي والصناعي لصناعة المستقبل :**

يؤسس المستقبل العاجل المنشود على العلم والصنعة، فقد ورد في رسائل النور أنّ الحرية الشرعية التي هي حقيقة اجتماعية قد انتصبت على ذرى المستقبل شامخة شموخ الجبال الرواسي، هذه الحرية المستندة إلى الشريعة تحذركم من الانصياع إلى النفس الأمارة بالسوء ومن التجاوز على الآخرين. وإنهّا لتهتف بكم وبأمثالكم من الغافلين المتفرقين في أودية الماضي السحيقة: اهجموا على الجهل والفقر بالعلم والصنعة"[٢]، وتشبّه رسائل النور العلم والصنعة بالوسائل الضرورية للانتقال إلى

---

(١) انظر الملاحق ص ٣٤٧

(٢) صيقل الإسلام ص ٤٦٣

المستقبل الزاهر، فتدعوا الرسائل إلى ضرورة الهروع إلى كعبة الكمالات بركوبكم منطاد العلم وقطار الصنعة في ميدان المدنية لاستقبال المستقبل الزاهر مستردين أموال الاتفاق التي اغتصبها الأجنبي".[١]

و ينتهي الأستاذ النورسي إلى أن المستقبل لا حكم فيه إلاّ للعقل والعلم، ولهذا سوف يسود حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان[٢]، وهو ما حدا به إلى القول: " لو دعيت من قبل المستقبل، من قبل محكمة العقلاء الناقدين باسم التاريخ لما بعد ثلاثمائة سنة. فسأبرز هذه الحقائق أيضاً. إلاّ ما تحتاج من ترميم بعض جوانبها المتشققة."[٣]

ميزة القرآن الكريم أنّه يستوعب الزمان والمكان، فـ"يرى القرآن من ثمرات الغيب التقدمَ الحضاري البشري قبل ألف وثلاثمائة سنة المستترة في ظلمات المستقبل، أفضل وأوضح مما نراها نحن وسنراها. فالقرآن إذاً كلام مَن ينظر إلى كل الأزمنة بما فيها من الأمور والأشياء في آن واحد"[٤]

وقد حكمت بصدق القرآن الكريم في قضية المستقبل الحقيقي الصحف السماوية والكتب المقدّسة جميعها، حكمت جميعها لفترة من العصور والأزمنة، قد صدّقت بآلاف من الدلائل دعوى القرآن الكريم في حقيقة الحشر مع أنّ بيانها لها مختصر وموجز، وذلك بمقتضى زمانها وعصرها، تلك الحقيقة القاطعة التي بيّنها القرآن الكريم الذي ساد حكمه على العصور جميعها، وهيمن على المستقبل كله، بيّنها بجلاء وأفاض في إيضاحها."[٥]

وقد أيّدت الحياة كلمته في الحشر، ذلك أنّ الحياة الدنيا ليست إلاّ فعلا متأتيا من شريعة تحكم العالم ولا يمكنه أن يحيد عنها، يؤكّدها القرآن الذي" يذكر من أفعال الله الدنيوية العجيبة والبديعة كي يعدّ الأذهان للتصديق ويحضر القلوب للإيمان بأفعاله

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٩٥

(٢) انظر المصدر نفسه ص٤٩٥، ص٥٠،٥١

(٣) المصدر نفسه ص٤٦٠

(٤) الكلمات ص ٢٩٦

(٥) المصدر نفسه ص ١٠٨

المعجزة في الآخرة. أو أنه يصوّر الأفعال الإلهية العجيبة التي ستحدث في المستقبل والآخرة بشكل نقنع ونطمئن إليه بما نشاهده من نظائرها العديدة."[١]

قال الأستاذ: "إنّ الظهور على الأعداء والغلبة عليهم لا يقتصر على الجهاد المادي، فرؤياكم إشارة إلى انتصار البراهين الإيمانية المعنوية الساطعة على الكفر المطلق، فإياكم والتأويل المادي، والظن بأن الجهاد هو جهاد مادي فحسب."[٢]

**٥ - الأساس الخامس: إعادة صياغة الخطاب ما ينسجم ومتطلبات عقليات المتلقين:**

**خطاب للمستقبل:**

صياغة رسالة التبليغ واضحة وفق مقتضيات عقليات المتلقين وأسئلتهم ومستواهم المعرفي والذهني من أهم متطلّبات وصول رسالة التبليغ كاملة واضحة، وإذا تعذّر لهم استيعاب الرسالة كما أرسلت وصيغت، وجب التفكير في المستقبل من خلال استحضار الأبناء والأحفاد (أي المستقبل) في الصياغة ومقاصد الخطاب، وقد عبّرت الرسائل عن هذه الفكرة في أجلى صورة وأبهاها، فقد علّق الأستاذ على من اعترض اعتراضا شديدا على بعض رسائله، قائلا (المعترض): أنت تغالي وتفرط، إذ تُظهر الخيال عينَ الحقيقة وتُهيننا بظنك أننا جهلاء، فنحن في عصر آخر الزمان والفساد يستشري وسينقلب من سيّء إلى أسوأ"، وكان جواب الأستاذ واضحا لا لبس فيه، فورد عنه قوله في أسلوب استفهام تقريري: " لماذا تكون الدنيا ميدان تقدمٍ وترقٍ للجميع، وتكون لنا وحدنا ميدان تأخر وتدنٍ. فهل الأمر هكذا؟"، ونظرا لعدم استيعاب بعض المتلقين الجواب انتقل الأستاذ إلى مخاطبة المستقبلين من الأبناء والأحفاد، معربا عن عدم مخاطبة من عجز عن فهم مقصوده، قائلا: " فها أنذا آليتُ على نفسي ألاّ أخاطبكم، فأدير إليكم ظهري"، ثم انتقل إلى مخاطبة المستقبل، قائلا: "وأتوجه بالخطاب إلى القادمين في المستقبل: أيا من اختفى خلف عصر شاهق لما بعد ثلاثمائة سنة، يستمع إلى كلمات النور بصمت وسكون. وتلمحنا بنظر خفي غيبي.. أيا من تتسمّون بسعيد وحمزة، وعمر وعثمان وطاهر ويوسف وأحمد وأمثالهم إنني أتوجه بالخطاب إليكم: ارفعوا هاماتكم وقولوا: لقد صدقت وليكن هذا التصديق دَيْناً في أعناقكم. إن معاصري هؤلاء وإنْ كانوا لا يعيرون سمعاً لأقوالي، لندعهم وشأنهم، إنني أتكلم معكم عبر أمواج الأثير الممتدة من

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٣

(٢) السيرة الذاتية ص ٥٢٩

الوديان السحيقة للماضي - المسمّى بالتأريخ - إلى ذرى مستقبلكم الرفيع. ما حيلتي لقد استعجلت وشاءت الأقدار أنْ آتي إلى خضم الحياة في شتائها.. أما أنتم فطوبى لكم ستأتون إليها في ربيع زاهر كالجنة، إنّ ما يُزْرَعُ الآن ويستنبت من بذور النور ستتفتح أزاهير يانعة في أرضكم.. نحن ننتظر منكم لقاء خدماتنا.. إنكم إذا جئتم لتعبروا إلى سفوح الماضي، عوجوا إلى قبورنا، واغرسوا بعض هدايا ذلك الربيع على قمة القلعة."[١]

ومخاطبة المستقبل أمر شائع كثير في رسائل النور[٢]، كلّ ذلك للدلالة على أنّ الرسائل كتبت للمستقبل لأجل العلم والعمل في الوقت نفسه.

**الحذر من أمراض المستقبل:**

**الأمن وصناعة المستقبل الزاهر:**

لا يمكن التفكير السوي في صناعة المستقبل في ظل فقد الأمن، لهذا كان الأستاذ ملحّا على مسألة الأمن في أحلك الظروف، ومهما كانت المحن والإهانات التي سلّطت عليه وعلى طلاب النور.

يفرض التفكير في مسألة الأمن الاجتماعي، منطقا مخصوصا في الرؤية والتمثّل، يتطلّب هذا المسلك التفكير في مستقبل الرسالة والتبليغ قبل التفكير في حقوق الأفراد مهما علت منازلهم وتقدّمت مواقعهم، فالتفكير في مستقبل الفكرة، تفكير في مستقبل الأمة ضرورة، بخلاف التفكير في أمر القيادات قبل التفكير في مستقبل الإسلام، لهذا كانت رسائل النور مرشدة قوية لعدد لا يستهان به من طلاب النور الحقيقيين المستعدين للتضحية، وبذلك خدمت الرسائل أمن البلد واستقراره[٣]، إذ بالرغم من الاستفزازات التي كانت تدفع إلى العنف كانوا أميل ما يكونوا عنه، لأنّهم يفكّرون في مستقبل الرسالة وبالتالي مستقبل الأمة، لهذا تصرّح رسائل النور، وتلحّ على تعلّم طلابها ذلك، بأنّ "أفضل خصالنا ومقتضى ديننا هو أن نقول، بروحنا وجسدنا ووجداننا وفكرنا وبكل قوانا: "إن متنا، فأمتنا الإسلامية حية، وهي باقية خالدة فلتحيا أمتي ولتسلم، وحسبي الثواب الأخروي."[٤]

---

(١) السيرة الذاتية ص ١١٤

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٤٠٨

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٤٠٨

(٤) صيقل الإسلام ص ٤١٥

كانت رسائل النور تحذّر باستمرار من زراعة العنف وخاصة من خلال التمييز بين أبناء الوطن الواحد من جهة الحظ في التنمية والتعليم، إذ قد يكون التمييز بمثابة بعث للعنف من مرقده واستصلاح الأرض لنموّه وتسويقه، لهذا كانت الرسائل تدق ناقوص الخطر في حال عدم الاستدراك على التمييز بين أبناء الوطن، وبهذا الصدد فقد كانت الرسائل سباقة إلى التحذير مما قد تؤول إليه المسألة الكردية في المستقبل، فقد رأت أنّ التمييز عاقبته وخيمة على مستقبل البلاد والعباد والدين.

قال الأستاذ: "إنّ في هذا العالم، عالم الرقي والحضارة، ينظر بعين الشكر والتقدير إلى أوامر الحكومة بإنشاء مدارس في قصبات كردستان وقراها، أسوة بالإخوة الآخرين وبجنب ما تنجزه من خدمات في مرافق أخرى. إلاّ أنّ مدى الاستفادة من هذه المدارس ينحصر في الذين يعرفون اللغة التركية، بينما يحرم الأكراد من العلوم والمعارف لعدم معرفتهم باللغة التركية ولعدم معرفة معلميهم باللغة المحلية، لذا لا يجدون أمامهم سوى الانخراط في المدارس الدينية طريقاً للمعرفة، مما يسبب شماتة الغرب لتفشي الجهل وحدوث الاضطرابات وانتشار الشبهات والأوهام فيما بينهم. وهذا ما يدعو أهل الغيرة والحمية إلى التأمل حيث الأكراد قد ظلوا في أماكنهم، بينما استفاد من هم أوطأ منهم من كل جهة منذ القدم من توقفهم هذا.؟"[١]

**المستقبل للمبادئ أولا:**

تظهر معاني التركيز على المبادئ قبل التركيز على الأشخاص "أنّ هذا العصر هو عصر الجماعة إذ الشخصية المعنوية – التي هي روح الجماعة – أثبت وأمتن من شخصية الفرد. وهي أكثر استطاعة على تنفيذ الأحكام الشرعية... إنّ الشخصية المعنوية تعكس روح العامة فإنْ كانت مستقيمة فإنّ إشراقها وتألقها يكون أسطع وألمع من شخصية الفرد، أما إنْ كانت فاسدة فإنّ فسادها يستشري وفق ذلك. فالشر والخير محددان في الفرد، بينما لا يحدهما حدود في الجماعة. فإياكم أنْ تمحقوا المحاسن التي نلتموها تجاه الخارج بإبدالها شروراً في الداخل."[٢]، لهذا كلّه لا تعطي رسائل النور للشخص أولوية على الفكرة والمبادئ، لهذا يركّز الجميع على ما نالت رسائل النور من آلاف المشاركة المعنوية والفناء في خدمة الإخوان.[٣]

---

(١) السيرة الذاتية ص ؤ٤٩٨

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٦

(٣) انظر الملاحق ص ٢٧٢

**دفع الأمراض بالقوّة المعنوية**

**❖ التعصّب وتمزّق الأمة:**

يستوجب التفكير في رقي الأمة في حاضرها ومستقبلها، اكتشاف عوامل بعث هذا المقصد في شعاب الحياة، وأوّل ما يفكّر في دفعه التعصّب وتمزّق الأمة، وكسر عناد الأعداء، وقد تمّ ذلك في الماضي بقوة السلاح والسيف، إلاّ أّننا اليوم مطالبون بالتغلّب على الأمراض المشار إليها بالقوة المعنوية، لأنّ الأعداء يُغْلَبُون وتُشَتَتُ صفوفهم بالسيوف المعنوية بدلا من المادية، السيوف المعنوية المستفادة من المدنية الحقيقية والرقي المادي الحق.[١]

**❖الشكلانية في الكلام والتصرّف:**

لعلّ من بين الأمراض المستقبلية التي أشارت إليها رسائل النور صراحة، مرض حب اللفظ، وحب التصوير، وحب الأسلوب، وحب التشبيه، وحب الخيال، وحب القافية، ...وقد اعتبرتها الرسائل من الأمراض المزمنة التي تستفحل في المستقبل، كما تبدو البوادر الآن، وانتهى الأمر بمن تبنى هذه الأساليب إلى التضحية بالمعنى في سبيل تحقيق بعض ما أشرنا إليه، "بل بدأ كثير من الأدباء بإساءة الأدب والأخلاق لأجل نادرة طريفة، أو لإتمام قافية رنانة."[٢]

**❖صناعة المستقبل واستثمار المتاح الواقعي:**

تحذّر رسائل النور من الخدعة التي يمارسها علين بعض المضللين، فتذكر في أسلوب تحذيري واضح، خطورة الوقوع في مغبّة التسليم التضليلات، يشهد لها قوله محذّرا: " اعلم أنّ مما زيّن في عينك هذه الحياة تلألؤ تماثيل نجوم الهداية من أماثل الأسلاف في مرآة الدنيا، بسرّ: أن المستقبل مرآة الماضي، والماضي يلتحق بالبرزخ – بمعناه – ويُودع صورته ودنياه في مرآة الاستقبال والتاريخ وأذهان الناس، ثم يستعين في هذا السياق –كما هي العادة- بالتمثيل، " مثلك في حب الحياة بحبهم كمثل مَن صادف في وجه طريقه مرآة عظيمة فرأى فيها تماثيل رفقائه وأحبابه الذاهبين إلى

---

(١) – انظر صيقل افسلام ص ٥٠٠

(٢) – المصدر نفسه ص ٩٨

الشرق (مغرّبين في المرآة) فيتوحش من الشرق فيهرول مُغَرِّباً .ولو كُشِفَ عن وجهك غطاءُ الغفلة لرأيتك تسرع في بيداء خالية يابسة لسراب وعذاب، لا لِعَذْبٍ وشراب.[١]

تؤدي رسائل النور الوظيفة الإيمانية، في أحلك الحالات وأرهبها، وفي أحوج الأوقات، وأحرجها. فتؤدي خدمتها الإيمانية بأسلوب يفهمه الناس جميعاً. وأثبتت أعمق حقائق القرآن والإيمان وأخفاها ببراهين قوية، حتى أصبح كل طالب نور وفيّ صادق يحمل في قلبه الإيمان التحقيقي كأنه قطب مخفي من أقطاب الأولياء وركيزةً معنوية للمؤمنين، وذلك لخدماته الإيمانية في كلّ مكان.[٢]

**واقعية مسعى صناعة المستقبل:**

قد يتبادر إلى الذهن مما سبقت الإشارة إليه أنّ رسائل النور بمعزل عن اتّخاذ الأسباب الكونية، وهو ما لا يقبله نصها وتصرفات روادها الأوائل، فتدعوا الرسائل إلى الحذر من استمالة العدو مستعمراته في العالم الإسلامي وربطهم به رباطا وثيقا، وينتهي في آخر المطاف إلى زعزعة ثقتهم بمكانة بلادهم ومنزلتها، من خلال نقلها إلى وصمها بأنها لا دينية وإلحادية، فيفضي هذا القبول إلى انفصام العلاقة المعنوية بين البلدان الإسلامية، فتنقطع صلة الرحم الإيمانية، فتنقلب روح الأخوة إلى عداء، فالحذر ثم الحذر من هذه الخطط مما يشبهها[٣]، وفي التنبيه على هذه الأخطار أجلى دليل على اهتمام رسائل النور بالمستقبل.

ومن مظاهر واقعية المسعى الوقوف عند بعض الأحكام الظالمة التي صدرت بحق الصادقين من أبناء هذه الأمة، فقد رموا بالرجعية[٤]، لا لشيء سوى دعوتهم إلى العودة إلى الحقائق الإيمانية والتثبت بها أمام تيارات الإلحاد المتلبّسة بالفلسفة.

**الخاتمة:**

بيّنت الدراسة أن اهتمام رسائل النور بالمستقبليات مسألة جوهرية، فهو ليس من قبيل الكهانة والعرافة، بل من قبيل الدراسة الموضوعية لمعطيات الزمان والظروف المحيطة بالمكان.

---

(١) انظر المثنوي العربي النوري ص ٢٤٠،

(٢) انظر الملاحق ص ٢٢٤

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٣٠٥

(٤) انظر المصدر نفسه ص ٣٧٣

خلصت إلى بيان مظاهر العناية بالمستقبل في رسائل النور، وقد تجلّت في عرض موقف الإنسان من المستقبل كما عرضته رسائل النور، وبيّنت أنّ من ضرورات الحياة الفردية والجماعية التفكير في المستقبل، وأكّدت هذه المعاني بعث الإنسان على اكتشاف قدراته على التعامل مع المستقبل، مما يؤكّد أن المستقبل صناعة، لها شروطها الموضوعية، وزيادة في البيان خصصت القضية الثانية للكتابة عن المستقبل كما عرضته رسائل النور، فكان العرض مستلا من عرض الدين لقضايا المستقبل، وقد قسّمت أنماط المستقبل في رسائل النور إلى قسمين عاجل (دنيوي) وآجل (أخروي)، ولأهمية الثانية ورد التذكير به بشكل لافت استغرق كثيرا من الرسائل، ثم بيّنت أنّ للعناية بالمستقبل الأخروي آثار عملية جلية على المستقبل الدنيوي، ومبعث هذه الآثار الإيمان بالله، فقد كان لها وسيبقى كبير الأثر على صناعة المستقبلين الأخروي والدنيوي.

انتقلت بعدها إلى القضية الثالثة، مبينا عمد صناعة المستقبل الدنيوي المنشود، مركّزا في المستهل على تجلية مواصفات المستقبل المنشود وآليات تحقيقه، فكان الإيمان أهمّ عوامل صناعته، والقرآن أكبر مدرّب على العناية به، والمعجزات أكبر مرشد للرقي العلمي والتطوّر البحثي، ومدخل كلّ ذلك تطوّر عقلي وعلمي وصناعي، إذا بهم يكون المستقبل مزدهرا، وفعاليتها مشروطة بتوفّر جو الحرية الشرعية والعدل والصدق في ظل اكتشاف الإمكانيات وتفعيلها، أوّلها امتلاء القلب بما في الإسلام من استعداد للرقي والتنمية، ثم تفعيل الاستعدادات البشرية في تفعيل دور الإيمان في الحياة، وفي كنف هذا الاكتشاف وتفعيله، يعمل المؤمن بمقتضى الحاجة إلى تنمية قدراته الإيمانية والمعرفية وتطبيقاتها العملية، مما يضطره إلى تكميل نقصه من المعارف بما جادت به الأفكار البشرية، والمستقبل مصنع الأفكار، فيكون تلاحق الأفكار مصدرا لتلاقحها والتكامل فيما بينها.

ختمت الدراسة ببيان الأسس التي يستند إليها في صناعة المستقبل، فكان على رأسها العامل الإيماني، ثم الثقة بالقدرات التي خلق الإنسان مزوّدا، وهي بدورها بحاجة إلى تثمين الحرية الشرعية والعمل على تجسيدها في الواقع المعيش، وكلّ العوامل الآنفة الذكر، تؤكّد أنّ العزّة الإيمانية والكرامة الإسلامية، لن تقوم لها قائمة بغير منطاد العلم وقطار الصناعة، وهذا يستوجب إعادة صياغة الخطاب بما ينسجم ومتطلبات عقليات المتلقين، فيكون الخطاب خطاب المستقبل، الموجب للحذر من أمراض المستقبل، من نحو الظلم والتعصّب والشكلانية واليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه،

وموت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية، وحبّ العداوة، والجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، وسريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة، وحصر الهمة في المنفعة الشخصية، مما يؤكّد واقعية المسعى واستثمار المتاح الواقعي في مسارات التغيير المنشود، وفي كلّ ذلك أوضح دليل على أنّ رسائل النور كتبت لما يستقبل من الأيام، لا تتوقّف عند الماضي إلى بقدر ما يسمح بخلسة روحية نتزوّد بها لقابل الأيام، ومن رمى إلى الوقوف بها عند المحطات السالفة من غير نظر فاحص لمتطلبات المحطة الراهنة والمستقبلة كان أبعد ما يكون عن منهج رسائل النور، أما إهمال مسألة المستقبل الأخروي فتجعله أصلا خارج فضاء رسائل النور، كما أنّ تأخير مسألة الفكرة والمبادئ وتقديم الأشخاص لا يقل شناعة من جهة بعده عن روحها ورؤيتها المستقبلية.

**مصادر الدراسة ومراجعها:**


الكلمات/ بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر-استنبول، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

المكتوبات/ بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر-استنبول، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

اللمعات/ بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر-استنبول، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

الشعاعات/ بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر-استنبول، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

إشارات الإعجاز/ بديع الزمان النورسي/تحقيق وتعليق إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر-استنبول، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

المثنوي العربي النوري/ بديع الزمان النورسي/تحقيق وتعليق إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلرللنشر-استنبول، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

الملاحق/ بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر-استنبول، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

صيقل الإسلام/ بديع الزمان النورسي/ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر-استنبول، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

السيرة الذاتية/ بديع الزمان النورسي/ترجمة وإعداد إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر- استنبول، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

حقيقة مقاصد رسائل النور استمدادها وامتداداتها، د. عمار جيدل، دار النيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.